الجرائم الدولية التي ترتكب ضد الأقليات
وطرق مكافحتها من منظور فقهي
(جريمة التمييز العنصري انموذجاً)

د. حافظ التاج مختار الحسن[١]

(١) أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

قال تعالى:-

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً).

صدق الله العظيم

(سورة الإسراء الآيات / ٧٠ / ٧١ / ٧٢)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مستخلص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الجرائم الدولية التي ترتكب ضد الأقليات وبالتحديد جريمة التمييز العنصري، وذلك بالإشارة إلى القواعد والضوابط الشرعية التي عملت على حماية هذه الأقليات والحقوق التي تتعلق بها.

وعليه فقد أصبحت ظاهرة الاعتداء على الأقليات من قبل الدول داخل مكونات شعبها، أو المجتمع الدولي بأثره على بعض الدول تمثل نقطة سوداء قد يؤتى منها الكثير من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، ومن أبرز الجرائم التي تقع على هذه الأقليات جريمة التمييز العنصري.

وعادة ما تأخذ هذه الجريمة صور ونماذج عديده فعلى المستوى الداخلي نجد بعض الدول ترتكب هذه الجريمة من خلال حكر الوظائف السيادية على طائفة دون أخرى من طوائفها، وكذلك الوظائف المالية والمناصب العليا وفرض سياسة على جعل طبقة من الشعب تعمل في الوظائف الدنيا ليس بمعيار إلا الأقلية أو اللون أو الجنس أو القبيلة دون النظر إلى متطلبات الوظيفة من الكفاءة.

أما على المستوى الخارجي فتظهر هذه الجريمة في التقسيمات التي تصنف بها الدول من دول عظمى ودول غير ذلك، ودول رائده ودول من العالم الثالث ودول تفعل ما تريد ودول تخضع لكل شيء وأوضح نموذج ففي الممارسة السياسية على المستوى الدولي لهذه الجريمة (حق الفيتو)[١].

ومن خلال هذه الدراسة أردت إبراز دور ومدى مصداقية الإسلام في التعامل مع هذه الفئة من المواطنين والمكانة التي أعطيت لهم، حيث لم يعتبرهم الإسلام كماً بشرياً غير مرغوب فيه بل اعتبرهم جزءاً من المجتمع مع بقائهم على دينهم، وهذه النقطة بالذات قد تكون إحدى نقاط الارتكاز في نظري لبداية المعرفة بسماحة الإسلام وإنسانيته من خلال النص على كيفية التعامل مع الأقليات وحقوقهم بغض النظر عن دينهم أو معتقدهم أو سحنتهم

---

(١) – يستخدم حق الفيتو في مجلس الأمن بالأمم المتحدة، وهو حق خاص بالدول الخمس الدائمة العضوية (الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا الاتحادية، وجمهورية الصين الشعبية، وفرنسا والمملكة المتحدة) فهذه الدول تتمتع بحق النقض في المسائل الموضوعية، ولكن ليس في مسائل إجرائية، بحيث إذا كان لأي من هذه البلدان صوتا ضد الاقتراح فهو مرفوض، حتى لو كان كل من البلدان الأخرى الأعضاء في التصويت لصالحه، وكلمة (فيتو) كلمة لاتينية تعني "أنا لا أسمح" وهو حق إجهاض وعدم تمرير أي قرار أو تشريع مقترح ولكن في نفس الوقت لا يضمن تمرير أو تبني المشروع وهو مقسم لنوعين لنوعان أحدهما مطلق والآخر محدود.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D9%82_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%B6

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مقدمة:-

الإسلام كرّم الإنسان وأثبت له هذه الكرامة والمنزلة بطرق عده، أكرمه وعلمه وقومه وجعله أعظم مخلوق على وجه هذه البسيطة، فخلقه الله تعالى في أحسن صورة وأحسن تقويم وفضله على كثير من خلقه وفضله على الملائكة والجان والحيوانات والجماد والطيور، وأودع في فطرته الاستعدادات العظيمة لحمل الأمانة المقدسة الكبرى حيث يقول الله تعالي: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)[١].

ومن مظاهر كرم الله سبحانه للإنسان أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة، وسخر له ما في السموات والأرض، وجعله خليفة في الأرض وزوّده بما يمكنه من الريادة والسيادة على وجهها، وضمن له حقوقاً ليؤدي ما كلف به من واجبات على أكمل الوجوه وعلى رأس هذه الحقوق، حق الحياة والتملك وحق الحرية والمساواة والتعلم وغيرها كثير، يتساوى في هذا كل بني البشر على اختلاف ألوانهم وديانتهم وأجناسهم ومراكزهم الاجتماعية قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)[٢].

وبهذا التعميم في التكريم وتحمل المسئولية يصبح الإنسان مخلوق مكلف ومسؤول عن عمله وأنه عبد لله عز وجل ومسؤول بين يديه عن عمله في حياته، وبهذا التصور الإسلامي يصبح الناس من أصل واحد وهم خلقوا من نفس واحدة ونفخ الله فيهم من روحه وخلقهم جميعاً من ذكر وأنثى خلقاً سوياً قويماً وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتعاونوا على البر والتقوي ولا يتنافروا ولا يتقاطعوا ولا يعتدي بعضهم على بعض قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٣].

ومن خلال ما ورد في السنة نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أشار إلى حقوق هذه الفئات بكل أنواع التقرير من سنته القولية والفعلية والتقريرية والصفة، والأدلة والشواهد كثيرة منها ما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حيث قال: (أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا... ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)[٤]، فلفظ الناس

---

(١) سورة الأحزاب (آية ٧٢).

(٢) سورة الإسراء(آية ٧٠).

(٣) سورة الحجرات (آية:١٣).

(٤) رواه البخاري في (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري).

المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة – عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – عدد الأجزاء: ٩ العلم برقم ١٠٢، وفي الحج برقم ١٦٢٥، وفي بدء الخلق برقم ٢٩٥٨ وفي المغازي برقم ٤٠٤٥، وفي تفسير القرآن برقم ٤٢٩٤، وفي الأضاحي برقم ٥١٢٤، وفي الفتن برقم ٦٥٥١ وفي التوحيد برقم ٦٨٩٣.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

عام للمسلمين وغير المسلمين، ولذلك ثنى في خطبته » بقوله كل المسلم على المسلم، وفي هذا دليل على أن المقصود في صدر الحديث البشر أجمعين دون تفريق بينهم بسبب لونهم أو جنسهم أو معتقدهم أو لغتهم، وفي ذلك قد أرسى قواعد إنسانيه سبق بها الإعلانات والدساتير العالمية لحقوق الإنسان، تنص على حرمة الدم والمال والعرض لكافة البشر ومن ضمنهم الأقليات.

وهناك ثمة أمرين يجب الإشارة إليهما (الأول) أن الإسلام دين كامل ومتكامل، وأقصد بذلك أنه في أحكامه نص على جميع الحقوق المتعلقة بالإنسان ومن ضمنها حقوق الأقليات وبالتالي لا يحتاج إلى القوانين والأحكام التي ترفدها التشريعات الوضعية.

والأمر(الثاني) أن هذه القواعد الإسلامية ينقصها التبصير والتبشير بها والاحتكام إليها، والسعي في تنفيذها وتطبيقها حتى يعلم الجميع شمولية هذا الدين وإنسانيته وأسبقيته في كل شيء على التشريعات الوضعية.

وعليه تعتبر هذه الجريمة محل استهجان ورفض من الناحية الفقهية سواءً ارتكبت داخل مجتمع الدولة، أو ارتكبت على المستوى الدولي بين الدول ففي كل الحالات تعتبر سلوكاً غير مقبول من خلال نصوص الكتاب والسنة وغيرها.

مشكلة البحث:-

يكمن تحديد مشكلة البحث من خلال الأسئلة الأتية:-

- ما المقصود بعبارة الأقليات؟ وما المقصود بالتمييز العنصري؟
- ما هي نظرة الإسلام للأقليات في الدولة الإسلامية وغير الإسلامية؟
- وما مدى إسهامات الشريعة في فرض القواعد الملزمة لحماية حقوق هذه الفئات؟ ومنع جريمة التمييز العنصري؟
- وما هي الطرق الكفيلة لحماية الأقليات من الجرائم الدولية؟

أهداف البحث:-

يهدف الباحث من خلال الدراسة تحقيق الأهداف الأتية:-

١. توضيح مفهوم الأقليات والمعايير التي عبرها يتم التصنيف لهذه الفئات.
٢. الإشارة إلى أن الناس كلهم من أصل واحد من حيث الخلق والفطرة والسوية الذي يحتم عليهم المساواة في المعاملات والتعامل دون تفريق بين البشر.
٣. بيان دور الفقه الإسلامي في النص على حقوق هذه الفئات وكيفية المحافظة عليها والالتزام بها، ومحاربة جريمة التمييز العنصري على وجه التحديد،

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

٤. التمعن في النصوص الإسلامية من حيث صياغتها ولغتها وشموليتها واستمراريتها في مراعاة حقوق هذه الفئات وحمايتهم من الجرائم التي يتعرضون لها وخاصة جريمة التمييز العنصري .

أهمية البحث:-

تأتي أهمية الموضوع من حيث الوقوف على المنهج الإسلامي في النظرة للأقليات وحقوقهم وحمايتهم من الجرائم وخاصة جريمة التمييز العنصري، مع الإشارة إلى النصوص الشرعية التي تتحدث عن هذه الفئات وحقوقها وحمايتها من الجرائم التي ترتكب بسبب قلتهم وخاصة جريمة التمييز العنصري، هذا إذا استصحبنا انتشار هذه الجريمة بصورة متنامية أمام بصر المجتمع الدولي كله.

منهج الباحث:-

اتبع الباحث المنهج الوصفي والتاريخي وهما من المناهج التي تناسب دراسة الموضوع مع إجراء بعض المقارنات في الموضوعات محل البحث.

هيكل البحث:-

تناول الباحث هذا الموضوع بالدراسة في مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة علي النحو الآتي:-

المبحث الأول:- مفهوم الأقليات والتمييز العنصري.

المبحث الثاني:- مكافحة جريمة التمييز العنصري في القران الكريم.

المبحث الثالث:- مكافحة جريمة التمييز العنصري في السنة النبوية.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الأول
مفهوم الأقليات والتمييز العنصري
المطلب الأول: مفهوم الأقليات

أولاً / تعريف الأقلية لغةً:

أقل يقل إقلالاً أقل الشيء: جعله قليلا ، أقل: أتى بقليل (أقل الشاعر)، أقل: قل ماله وأفتقر ، أقله: رفعه ونقله وحمله (أقلته السيارة)، أقلته الرعدة أي (أصابته)، أقلّ من زياراته لأصدقائه (جعلها قليلة)، وأَقَلَّ الشيءَ ومنه: جعله قليلاً، أَقَلَّ فِعْلَ كذا: لم (يفعلْهُ أَصْلاً) ، كان عدد الحاضرين اليوم أقل من الأمس (أدني عددا)، علي الأقل كان ينبغي أن يبعث ببطاقة تهنئه (أبسط ما كان)، أقل ما يقال في هذه الحالة (أبسط ما يقال)، على أقل تقدير (أدني، أضعف تقدير)، أقل جودة (أحط، أقل أهمية)، أخذ البضاعة بسعرٍ أقل (بسعر أرخص وأقل التكاليف)[١].

وترجع لفظة أقلية لغة إلى مادة قلل وبالرجوع لهذه المادة في المعاجم نجد أنها تنتظم ثلاثة معان: فمنها معنى القِلّة التي هي ضد الكثرة قال الله تعالى: (وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[٢]، وجاء في لسان العرب: القِلّة خلاف الكثرة[٣]، ومنها ذهاب البركة ، وقال أبو عبيد في تفسير قول ابن مسعود (الربا وإن كثر فهو إلى قُل) قال: هو وإن كثر فليست له بركة[٤]، وكذلك قال الزمخشري: (القُل والقِلة كالذُّل والذِّلة) يعني أنه ممحوق البركة، وجاء في اللسان: وفي حديث ابن مسعود: الرِّبا، وإن كَثُر، فهو إلى قُلّ، معناه إلى قلّة أي أنه وإن كان زيادة في المال عاجلاً فإنه يَؤُول إلى النقص، كقوله تعالى: (يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)[٥]، ومنها الضعة والدونية: وجاء أيضاً في لسان العرب القُل من الرجال: الخسيس الدنيء[٦]

وفي التنزيل العزيز: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ

---

(١) http://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A3%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%A9/

(٢) سورة الأعراف:(آية ٨٦).

(٣) لسان العرب – المؤلف: محمد بن مكرم بن على (أبو الفضل) جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي – (المتوفى: ٧١١هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت– الطبعة ا– سنة الثالثة – ١٤١٤ ه.١١ / ٥٦٣.

(٤) غريب المصنف – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي – (المتوفى: ٢٢٤هـ)– تحقيق: صفوان عدنان داوودي – الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – الطبعة: جـ ١– السنة السادسة والعشرون، العددان (١٠١،١٠٢)– ١٤١٤ه / ١٤١٥هـ / ٩٢.

(٥) سورة البقرة:(آية ٢٧٦).

(٦) لسان العرب – مرجع سابق – ١١ / ٥٦٤.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

تَذَكَّرُونَ)[١] ومنها قوله تعالي (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً)[٢].

(وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)[٣]، (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً)[٤]، (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ)[٥]، (وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ)[٦]، (وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[٧]، (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً)[٨]، (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)[٩]، (مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)[١٠]، (قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)[١١]، (وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً)[١٢]، (وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[١٣]، وفي خلاصة الأمر فإن مفهوم الأقليات عادة ورد ذكره في القرآن لكل ما هو قليل العدد.

أقلية: (اسم) الجمع: أقليات هم أقلية في المهجر: جماعة تربطها أواصر وعلاقة القرابة والأصل لغة ودينا ووطنا، تعيش وسط شعب يفوقها عددا يشكل اليهود أقلية في المجتمعات التي يعيشون فيها توجد في البرلمان أغلبية وأقلية، والأقلية: خلاف الأكثرية لأقلية البرلمانية: (السياسة) جماعة أو حزب لا يملك أكثريّة الأصوات في البرلمان.

ثانياً / تعريف الأقلية اصطلاحاً:

الأقلية هي (مجموعة من الناس يتمتعون بجنسية الدولة التي يعيشون فيها بذاتهم

---

(١) سورة الأعراف (آية:٥٧).
(٢) سورة الكهف (آية:٣٩).
(٣) سورة البقرة (آية:٤١).
(٤) سورة البقرة (آية:٧٩).
(٥) سورة البقرة (آية:٨٣).
(٦) سورة البقرة (آية:٨٨).
(٧) سورة البقرة (آية:١٢٦).
(٨) سورة البقرة (آية:١٧٤).
(٩) سورة البقرة (آية: ٢٤٦).
(١٠) سورة آل عمران (آية: ١٩٧).
(١١) سورة النساء (آية: ٧٧).
(١٢) سورة النساء (آية: ٨٣).
(١٣) سورة المائدة (آية: ١٣).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ويختلفـون عن غالبية مواطنيها في الجنس واللغة والعقيـدة والثقافة والعادات والتقاليد)[١]، إلا أن هـذا التعريـف وصف بالمتشدد والمتطرف إلى حد ما، نظـراً لاستحالة أو صعوبة إيجاد أقلية تختلف عن باقي سكان دولة ما في كل الخصائص، الدينية والجنسية واللغوية والعقدية والثقافيـة والتاريخ والعـادات والتقاليد ويرى المنتقدون لهذا التعريف أن توفر عنصر واحد من العناصر المذكورة يكفي للوصول إلى وضع الأقلية.

الأقلية (مجموعة من سكان قطر أو إقليم أو دولة ما تخالف الأغلبية في الانتماء العرقي أو اللغوي أو الديني، دون أن يعني ذلك بالضرورة موقفاً سياسياً متميزاً)[٢].

وهناك من ذكر بأن الأقلية هي (مجموعة من مواطني دولة ما تختلف عن أغلب المواطنين في الجنس أو الدين أو اللغة أو الثقافة مع شعورها بالتهميش والاستهداف من غيرها كما أنها لا تتمتع باي هيمنة على المجموعات الأخرى مما يوجب حماية القانون الدولي لها)[٣]

وتم تعريفهـا بأنهـا (مجموعة تربط بينهـم عوامل على أساس الهويـة القومية أو الأثنية والثقافية والدينية واللغوية)[٤].

وأيضاً عرفت بأنها (مجموعة رقمية تعدادها أقل من سكان دولة ما، حيث يتمتع أفرادها، الذيـن يحملـون جنسية هذه الدولة، بصفات أثنية، ودينيـة، ولغوية مختلفة عن بقية السكان، وتجمعهم إرادة الحفاظ على ثقافتهم، وعاداتهم، ودينهم، ولغتهم)[٥].

وهنـاك تعريـف أخـر بـأن الأقلية هـي (كل مجموعة بشرية تعيش داخل إقليـم دولة ما، وتتمتـع بخصائـص تميزها عن غيرها من بقية السكان سواء كانت خصائص ثقافية أو دينية أو لغوية أو تاريخية أو جنسية)[٦].

ومنهم من قال أن الأقلية هي (كل جماعة يتقاسم أفرادها روابط الأصل أو اللغة أو الدين، كما يجب أن يشعر هؤلاء عن وعي تام بوضعهم ويتصرفون على أساسه)[٧].

ومنهم من ذكر بأن الأقلية (هي مجموعة من الناس قليلة العدد بالنسبة لباقي سكان دولة ما، والتي تمتلك خصائص مشتركة بين أفرادها تختلف عن بقية خصائص مجموعات سكان

---

(١) الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر – أحمد وهبان – دار الجامعة الجديدة – الإسكندرية –٢٠٠١م – ص ١٠٠.

(٢) موسوعة السياسة – عبدالوهاب الكيالي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١– ١٩٨٧م – ص ٢٤٤.

(٣) أحمد وهبان – الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر – مرجع سابق – ص ١٠٩.

(٤) إعلان الأمم المتحدة للأقليات للعام ١٩٩٢– المادة الأولى.

(٥) الاتفاقية الأوربية لحقوف الأقليات – ١٩٩١م – المادة الثانية الفقرة الأولى.

(٦) مستقبل الدول الفدرالية في أفريقيا في ظل صراع الأقليات (نيجيريا نموذجا) – بشير شايب مجدوب – رسالة ماجستير – جامعة قاصدي مرباح – كلية الحقوق والعلوم السياسية – ٢٠١٠م / ٢٠١١م – ص ٢٠.

(٧) مستقبل الدول الفدرالية في أفريقيا في ظل صراع الأقليات (نيجيريا نموذجا) – بشير شايب مجدوب – مرجع سابق – ص٢٠

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الدولة وتتميز بتلك الخصائص أثنية أو دينية أو لغوية ولها الإرادة والرغبة في المحافظة على كل أشكال تميزها عن الآخرين)[١].

هي في العرف الدولي مئات من رعايا دولة من الدول تنتمي من حيث الجنس اللغة والدين إلى غير ما تنتمي أغلبية رعاياها[٢].

وهناك من عرف الأقلية بأنها (كل جماعة لها أصل عنصري ثابت وتقاليد دينية ولغويه، وهي الصفات التي تختلف بصفة واضحة عن بقية الشعب الذى تعيش فيه، ويجب أن يكون عددها كافياً للمحافظة على تلك التقاليد والخصائص، كما يجب أن تدين بالولاء للدولة التي تتمتع بجنسيتها)[٣].

كما تم تعريفها بأنها (أي طائفة من البشر المنتمين إلى جنسية دولة بعينها متى تميز عن أغلبية المواطنين المكونين لعنصر السكان في الدولة المعنية من حيث العنصر أو الدين أو اللغة)[٤].

وعليه يمكن القول بأن كل التعريفات المذكورة أياً كان مصدرها تتفق في نظرتها لمفهوم الأقليات من حيث قلة العدد مع توافر عوامل مشتركه بين هذه الفئة سواء عامل ديني أو لغوي أو عرقي أو جهوي أو معيار من المعايير الأخرى.

والتعريف الراجح هو أن الأقلية هي طائفة من البشر المنتمين إلى جنسية دولة بعينها، متى تميزت هذه الأقلية عن أغلبية المواطنين المكونين لعنصر السكان في الدولة المعنية من حيث العنصر أو الدين أو اللغة أو اللون بشرط أن يكون لها من العدد ما يثبت هذه الخصائص والمميزات وأن تكون أقل عدداً ممن سواها داخل الدولة التي تدين لها بالولاء.

---

(1) (24) - Nicolas schmitt,protection des minorités,federalisme et democratie de concordance:tout etat lié,institut du federalime-universite de fribourg (suisse),conference sur le burundi,geneve,17-19 avril 1996,p5

(٢) القاموس السياسي- أحمد عطية الله – دار النهضة العربية – ط٢ – ١٩٦٨م – ٩٦.

(٣) إدارة وحل الصراعات العرقية في أفريقيا – محمود أبو العينين – الدار الجامعية للنشر والتوزيع والطباعة – ط١ – ليبيا – ٢٠٠٨م – ص ١٥ /١٦.

(٤) الملف السياسي – مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر – عدد الجمعة ١٠ ذو القعدة ١٤٢٤هـ – ٢ يناير٢٠٠٤– العدد ٦٥٩

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المطلب الثاني
مفهوم التمييز العنصري

يقصد بالتمييز العنصري أو التفرقة العنصرية في العرف الحديث التمييز بين الأجناس في القوانين والمعاملات، على أساس الدم أو الصفات المتعلقة بتكوين الجسم البشرى[١].

ولقد صنَّفت العلوم الإنسانية الأجناس البشرية إلى جماعات تجمع بين كل منها خصائص ومميزات طبيعية متوارثة في مجموعها مجال للاختلاف البسيط بين أفرادها، ومن أبرز هذه الخصائص لون البشرة وشكل الجمجمة وملامح الوجه وطول القامة، وقالوا إن هذه الصفات الطبيعية يتبعها اختلاف في المواهب العقلية والقوى النفسية وما إليها، ورأى بعض هؤلاء أن تقسيم البشر إلى أجناس يرجع إلى الدم نفسه على خلاف فيما بينهم على مقدار نسبة ما يوجد من دم الآباء والأجداد في الإنسان حتى ينسب إلى هذا الجنس.

وعلى أساس هذا التقسيم العنصري قرر الباحثون أن هناك امتيازاً لبعض الأفراد على بعضهم الآخر، حيث يحق للأجناس العالية أن تكون لها قوانين وأن تعامل معاملة خاصة، بخلاف الأجناس الأخرى التي لا ينبغي أن تدخل معها في هذه القوانين وتلك المعاملات وهنا يظهر التمييز.

واذا نظرنا لتاريخ البشرية نجد أن جريمة التمييز العنصري بوجه عام بين بنى الإنسان جريمة قديمة، أملتها ضرورة اختلاف الناس بعضهم عن بعض في القوة الجسمية والعقلية والمظاهر المادية، والتي كان من نتائجها استعلاء بعضهم على بعض، واستغلال القوي منهم للضعيف وتحقر الفقير، وسيطرة العالم على الجاهل ومن أكبر مظاهرها الرق،[٢] وقد عرفتها كافة الشعوب والمجتمعات البشرية القديمة بل كانت مظهراً من مظاهر الحضارات والتدين لعدد من الأمم القديمة.

وعلى سبيل المثال كان أهل اليونان يعتقدون أنهم شعب مختار، وأنهم خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التي خلقت منها الشعوب الأخرى، والتي كانوا يطلقون عليها اسم (البربر) وقد قرر أرسطو[٣] وهو يوناني في كتابه (السياسة) أن الآلهة خلقت فصيلتين

---

(١) موسوعة فتاوى الأزهر –الموضوع (٢٩٠) التفرقة العنصرية– المفتي: فضيلة الشيخ عطية صقر– مايو ١٩٩٧ المبدأ: القرآن والسنة.

(٢) في الهند القديمة كانت كتبهم المقدسة تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم التي خلقوا منها في زعمهم (وتقرر من الطبقات من لهم الحق في تولي أرقى المناصب الدينية، و الوظائف الحربية وهناك من له وظيفة واحدة هي خدمة الطبقات).

(٣) أرسطو ولد أرسطو عام ٣٨٤ قبل الميلاد في مدينة (ستاغيرا) في شمال اليونان، وكان والده طبيبا مقربا من البلاط المقدوني، وقد حافظ أرسطو وتلاميذه من بعده على هذا التقارب. وقد كان لوالده تأثير كبير عليه لدخوله مجال التشريح ودراسة الكائنات الحية التي منحته القدرة على دقة الملاحظة والتحليل. وفي عام ٣٦٧ رحل أرسطو إلى أثينا للالتحاق بمعهد أفلاطون، كطالب في البداية، وكمدرس فيما بعد. وكان أفلاطون قد جمع حوله مجموعة من الرجال المتفوقين في مختلف المجالات العلمية من طب وبيولوجيا ورياضيات وفلك. https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D8%B3%D8%B7%D9%88

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مـن الأناسـي، فصيلـة زودتها بالعقـل والإرادة وهى اليونـان، وقد فطرتها على هـذا التكوين الكامـل لتكـون خليفتها في الأرض، وجعلتها سيدة علـى سائر الخلق، وفصيلـة لم تزودها إلا بقـوة الجسـم وما يتصل اتصالاً مباشـراً به وهم البرابرة أي ما عـدا اليونانيين من بنى آدم، وقـد فطـروا على هذا التقـويم الناقص ليكونوا عبيـداً مسخرين للفصيلة المختـارة المصطفاة، وكانـوا يقـرون الرق الـذى يقول فيه أرسطـو: إن الرقيق آلة ذو روح أو متـاع تقوم به الحياة فهم لا يدخلونه في عداد المخلوقات الإنسانية، وفي هذا السرد دليل على معرفة المجتمع اليوناني القـديم لجريمـة التمييـز العنصري كغيره مـن المجتمعـات القديمة التـي عرفت هـذا السلوك. والرومـان لم يقلـوا شأناً من اليونانيين بل كانـوا يعتقدون كما يعتقد أهـل اليونان أنهم سادة العـالم، وأن غيرهم برابرة خدم لهم وكانـت قوانينهم تقر الرق، وتعامل الرقيق على أنه متاع، مدعـين أن استعبـاده رحمة بـه من القتل الذى تتعرض له الحيوانـات، وإلى جانب الاسترقاق بالحروب كانوا يسترقون الفقير إذا عجز عن أداء الدين، ولم تكن للرقيق عندهم حقوق قانونية ولا مدنيـة، ولا يستطيـع الفـرد منهم أن يقاضى سيده أو معاملته، بـل كان لسيده الحق في قتله دون مجازاة[١]، وفي ذلك إشارة إلي المجتمع الروماني كان يمارس جريمة التمييز العنصري.

والعـرب قبـل الإسلام حالهم كحال اليونانيـين والرمانيين حيث كانوا يعيشـون على التفاخر بالأحسـاب والأنسـاب، ويعتقـدون أنهم أفضل من غيرهم ويطلقون عليهـم اسم العجم، ولعل ذلك كان أساسـه افتخـار العربي بلغته الفصيحة التي لا يوجد لها مثيـل في لغات العالم، بل وصل بهم الحد في التمييز العنصري كراهة أن يتلوث دمهم العربي النقي بدم غيرهم عن طريق الزواج[٢].

أما بالنسبة للديانات القديمة المحرفة كالمسيحية، فقد أقرت الرق كما جاء في كتبهم والتي نادت بالرق وظلت تدعو لاستمراره بين المسيحيين إلى اليوم، كما أن رجال الدين منهم يقرون صحتـه وفي ذلك إشارة إلي أن الدين المسيحي المحرف ارتضى الاسترقاق تماماً إلى يومنا هذا وبذلـك ظـل الرق معترفاً به بـين المسيحيين، وكثرت جريمة التمييـز العنصري بالتحديد بعد اكتشاف أمريكا وجلب الرقيق من أفريقيا للعمل بالإتجار على أشده بين الدول الاستعمارية، جريمـة يمارسـها ملوكها وكبـار رجالها مع قسـوة بالغة العنف برروهـا بتعاليمهم المقدسة وصدرت لهم قوانين تنص على احتقار الجنس الأسود وإهدار كرامته[٣].

---

(١) أمثلة لقوانين رومانية علي سبيل المثال (قانون الألواح الاثني عشر).

(٢) علي سبيل خطب كسرى (أبرويز) بنت النعمان بن المنذر ورفض النعمان مصاهرته، مع أنه كان أحد ولاته، وبسبب ذلك دارت حرب طاحنة بين الفرس والعرب، تكتلت فيها قبائلهم، وانتهت المعركة بانتصار العرب في موقعة (ذي قار).

(٣) جاء في مؤلفاتهم (روح القوالين) حيث قال مؤلفه (مونتيسكيو) الفرنسي في الفصل الخامس منه: إن شعوب أوروبا بعد أمريكان الأصليين وهم الهنود الحمر، لم تر بُدًّا من استعمار شعوب أفريقيا، لكى تستخدمها في استغلال، فإن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وادعى اليهود أنهم شعب الله المختار، وأن الإله الذى يعبدونه لا ينبغي أن يكون معبوداً لغيرهم، وكانوا يطلقون عليهم (أمبين) بحكم أن هذا الإله خاصاً بهم، ويقول الله تعالي: (وقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)[١]، فكان رد عليهم في نفس الآية من الذي خلقهم أنه لا يفضل أحد على أحد إلا بالعمل الصالح فقال تعالى:(قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)[٢]، وكانوا يعتقدون أن غيرهم من الأميين ليست لهم حقوق كحقوقهم، كما حكى الله بقوله: (وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[٣]، وكانوا يبيحون استرقاق المدين الذي يعجز عن الوفاء بالدين، وما يزال شعور التعالي والتعصب والتمييز العنصري موجودًا لديهم حتى الآن، وكانت قمته هي الصهيونية بمظاهرها وأساليبها المعروفة التي تتنافى مع الكرامة الإنسانية.

وظل الوضع كذلك إلى أن جاء الإسلام الذي قرر أننا من أصل واحد من أب واحد هو آدم، وبالتالي نسبنا جميعا واحد ونحن إخوة في هذه الأسرة الإنسانية الواسعة، وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بلون أو شكل أو نشاط فذلك لا ينقص من قيمته في أنه يشكل ركناً مهماً في تألف هذه المجموعة وتضامنها في منظومة الكون وتحقيق الخلافة لله في الأرض، حيث قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)[٤].

ويعبر البعض بقوله إن الإنسانية كلها حديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها وما يفوح منها من عطر، دون أن يكون للون أو رائحة انفصال عن الآخر في إبراز بهجة هذه الحديقة، وذلك بفضل سنة الله الكونية في التنوع والاختلاف التي جعلت الحياة في صورة جمالية رائعة من صنع الحكم المتعال، الذي ينظر للبشر بجمال الأقوال والأفعال لا بجمال الألوان والأشكال رب العدل الجبار.

إلى رءوسهم ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله ـ وهو ذو الحكمة البالغة خلق روحا ـ وعلى الأخص روحا طيبة في أجسام حالكة السواد.

(١) سورة المائدة (الآية ١٨).

(٢) سورة المائدة (الآية ١٨).

(٣) سورة آل عمران (آية:٧٥).

(٤) سورة النساء (آية: ١).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

مكافحة جريمة التمييز العنصري في القران الكريم

ينظر الإسلام إلى هذه الجريمة بأنها سلوك يتنافى مع الإنسانية ومع إرادة الله في صنعه وإرادته في إدارة الكون، وتحقيق الغاية الكبرى من خلق البشر وهي عبادة الواحد الأحد، فالتنوع في كل شيء ومن ضمنها العنصر البشري مصدر هبة من صنع الخالق البديع بالرغم من أن الأصل واحد، فهذا التنوع لا يؤثر في النظر إلى البعض بمعيار مختلف هذا أستصحبنا أننا من منبع واحد ومصدر واحد ونعبد رباً واحداً.

ولا بد من القول بأن عناية الإسلام ليس فقط بالأمور الدينية وإنما أيضاً بالأمور الدنيوية التي تخص العلاقات بين الأفراد والجماعات والشعوب والدول، وهذا الأمر ليس بالغريب لأن الإسلام جاء تبياناً لكل شيء (ديني ودنيوي)، وهذا ما أكده قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ)[١]، وأشار إليه قوله سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)[٢]، وكذلك قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[٣]، فالتبيان لكل شيء في الآية الأولي هو ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ليبينه للناس في الآية الثانية، وما أشارت إليه الآية الثالثة بإكمال الدين تشتمل على توضيح كل الأمور الدينية والدنيوية ومن ضمن هذه الأمور النواهي والأوامر الخاصة بها النهي عن اضطهاد الأقليات من خلال جريمة التمييز العنصري.

وبالتالي ومن خلال هذا المنطلق نجد أن هذا السلوك عمل الإسلام على مكافحته، من خلال نصوص القرآن الكريم التي نهت عنه أياً كان مصدره أفراداً أو جماعات أو دولاً حيث قرر الإسلام أن الناس جميعاً يرجعون إلى أصل واحد هو التراب، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً)[٤] وقال (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى)[٥] وجعل حياتنا كلها وعلاقاتنا كلها وأقوالنا كلها وأعمالنا كلها ترجع للأصل الذى خلقنا منه وهو الأرض، وربط صلتنا بكل ما يعيش عليها من حيوان ونبات باعتبارها هي الأم للجميع والكل لها أبناء، مع الإشارة إلى أنه لم يخلق أي مخلوق من غير تربتها لذا فهي الأصل، كما أنها صاحبة الخير والفضل على جميع المخلوقات حيث لم

---

(١) سورة النحل (آيه:٨٩).

(٢) سورة النحل (آية: ٤٤).

(٣) سورة المائدة (آية:٣).

(٤) سورة نوح (الآيات: ١٧ /١٨).

(٥) سورة طه (آية:٥٥).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

يعش واحد منا على غير خيرها، ومع ذلك فهي المرجع حيث لن يدفن واحد منا في غير بطنها.

لقد حث الإسلام من خلال نهجه القويم والصراط المستقيم إلى المساواة بين البشر حينما أمر بمحو الفوارق العرقية ونبذ العصبيات واحتقارها، واعتبر معيار التفاضل والتمييز الوحيد بين البشرية هو التقوى والعمل الصالح، فمن عمل بما فيه الصلاح لأمته ولإخوانه في البشرية واتقى الله في عمله وأتقنه، وأدى حقوق الله تعالى وحقوق عباد الله تعالى عليه فهو أفضل من غيره، ممن لم يؤد هذه الحقوق فبهذا فقط يكون التمييز والتفضيل قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[١]، فالتفضيل والتمييز بموجب هذه الآية بدرجة الإيمان والعلم والعمل التي يتحصل عليها الفرد وليس بمعايير أخري.

ودفعاً في نفس هذا الاتجاه قرر الإسلام أن الناس جميعاً كما أصلهم واحد فإن خالقهم واحد هو الله سبحانه، والأمر كله يرجع إليه البداية منه خلقاً والنهاية إليه بعثاً وحسابا والشاهد في ذلك قوله تعالي: (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[٢]، وكذلك قوله: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)[٣]، فهو وحده الخالق والرازق والمحيي والمميت والمعيد للنشور والمتفرد بالعبودية والمالك والملك يوم الدين، وكلنا مدينون له بهذا الفضل والخير كله والذي ليس له شريك فيه سواء أقررنا به أم جحدنا، ومن هنا لا يكون لأحد منا فضل على الآخر في هذه النواحي الجامعة لمسيرة الحياة من مبدئها إلى منتهاها، فما يجرى ما بين (الحياة والموت) يرجع الأمر فيه كله من الله وبالله ولله ومرده إلى الله، وبالتالي لا مبرر للتعالي والتفضل والتمييز على الآخرين بحكم أنه لم يكن لك عليهم فضل في خلقهم ورزقهم وحياتهم ومبعثهم ونشورهم.

ومع دعوة الإسلام إلى تحقيق المساواة بين الشعوب والأفراد ومنح الحرية لجميع بني البشر، حظر كل مظاهر التمييز والأفكار الداعية لذلك، كالأفكار الداعية لتمييز شعب على شعب آخر أو تفضيل جنس على جنس آخر، وذلك من قوله عز وجل: (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

---

(١) سورة المجادلة (آية:١١).

(٢) سورة يس (آية: ٨٣).

(٣) سورة الروم (آية: ٤٠).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)[١].

ولقد استنكر الإسلام سياسة التمييز العنصري والعرقي باعتباره ديناً إنسانياً راقياً يقدر البشر بإنسانيته وعضويته في منظومة البشر، كما نهى عز وجل عن السخرية فيما بين الناس: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[٢]، والسبب في ذلك لأن الإسلام يعتبر جميع الناس سواسية متساوون في الحقوق الإنسانية، كما إنه ينظر إلى الجرائم والأثار التي تترتب على التمييز العنصري فقد تنتج عنها أثار كبيرة وذات أثر جسيم وسيء على المنظومة الإنسانية ومكوناتها وكذلك حياة الدول والشعوب، ومن نتائجها تؤدي إلى الصراعات بين المستعلي والمستعلى عليه، كما تؤدي إلى حرمان طوائف وأقليات بشرية كثيرة من حقوقها الإنسانية، ولأنها تؤدي إلى تهميش طائفة لا بأس بها من الأفراد لكونها من لون معين أو جنس معين أو لأنها تتكلم لغة معينة.

كما أن جريمة التمييز العنصري والسياسات المتعلقة بها تؤدي إلى انصراف الأفراد والشعوب عن التفكير في البناء والتقدم والرقي بالإنسانية، إلى تفكير سلبي عقيم جوهره التعصب ودافعه التناحر والصراع وهو ما يحدث في كثير من بلدان العالم اليوم تحت مسميات أزمة الأقليات والصراعات القبلية والعرقية والطائفية، وفي ذلك منافاة ومعصية لقوله تعالي:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٣].

فالخالق أمر بالتعارف والألفة والتعاون والمحبة بين أفراد البشر دون النظر إلى الشكل أو الجنس أو اللون أو اللغة أو القبيلة أو الوجهة السياسية أو الأوضاع المادية أو الاجتماعية والمفضل والمكرم والمميز عند الله هو التقي المتمسك بتعاليم الدين دون غيره.

ومن صور المساواة أيضاً المساواة في الدعوة إلى الله وإلى الإسلام وتقبل التكاليف الربانية حيث قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ

(١) سورة النساء (آية:٩٥).

(٢) سورة الحجرات (آية:١١).

(٣) سورة الحجرات (آية:١٣).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١]، وفي قوله جميعاً إشارةً إلى أن دعوة لا تقتصر علي طائفة دون طائفة أو فئة دون فئة محدده ومع ذلك فالتكاليف تنزل على الجميع بالتساوي دون تفاوت طائفة على طائفة أو فئة على فئة وهذه قمة المساواة باعتبار أنها جاءت في أمر الدين فمن باب أولى أن تكون المساواة في أمور الدنيا.

وقال تعالى (وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَاب ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاته أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسكُمْ أَزْوَاجًا لتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلكَ لَآيَات لقَوْم يَتَفَكَّرُونَ وَمِنْ آيَاته خَلْقُ السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَاخْتلَافُ أَلْسنَتكُمْ وَأَلْوَانكُمْ إِنَّ فِي ذَلكَ لَآيَات للْعَالمينَ)[٢]، حيث جعل الإسلام البشر موزعين إلى مجموعات نسبية على الرغم من اتفاقهم في هذه الأصول، وذلك ليتميز بعضهم عن بعض في بعض الأشياء، ولتعرف الحقوق وتحدد الواجبات ويسهل تنظيم أمر الجماعة، فهذا الإجراء تنظيمي بحت لا يمس جوهر المساواة الحقيقية في الأصول المذكورة، فالتوزيع والتنويع هذا نعمتان من نعم الله عز وجل لأنهما يؤديان إلى ظهور نظام بديع تستريح له النفس ويطمئن إليه القلب، قال تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٣] كما أن تقسيم الشعوب إلى ألسنة وألوان دليل وتمام إرادته واختياره في خلقه (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)[٤] .

ومن أوجه المساواة وعدم التمييز وجوب الحكم بين الجميع بالعدل حيث قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)[٥]، وإصدار الأحكام بخلاف ذلك فيه انتهاك للإنسانية وتكريس للعنصرية والجهوية ومنافاة لمبدأ مهم وهو مبدأ الشرعية والمساواة بين عناصر البشر.

ولم يتوقف الإسلام عند حد المساواة في إصدار الأحكام بل ذهب إلى المساواة في تطبيق العقوبات حيث قال الله تعالى: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[٦]، لان العقوبات التي تطبق على معايير غير قانونية وشرعية تعتبر نمط من أنماط التمييز العنصري.

---

(١) سورة الأعراف (آية:١٥٨).

(٢) المادة الأولى من وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام الصادرة عن وقائع المؤتمر الخامس للفكر الإسلامي المنعقد بطهران (إيران) من:٢٩ جمادى الأولى إلى٠١ من جمادى الثانية١٤٠٧هـ الموافق لـ: من٢٩ إلى٣١ جانفي١٩٨٧م / أنظر: حقوق الإنسان في الإسلام – مقالات المؤتمر الخامس للفكر الإسلامي – طهران – إيران – ص:٥٥٤.

(٣) سورة الحجرات (آية: ١٣)

(٤) سورة الروم (آية: ٢٢).

(٥) سورة النساء (آية: ٥٨).

(٦) سورة البقرة (آية: ١٧٩).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فالاختلاف في الألوان والأشكال واللغات حتى إن اختلاف الدين لم يكن مبرراً من عدم تحقيق المساواة، لان الرابطة الإنسانية عامة تعلو فوق كل هذه الاختلافات، بل التعاون والبر والقسط والإحسان أمر واجب حتى مع وجود اختلاف الدين حيث يقول الله جل جلاله العادل المقسط: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[١].

وفي منحى آخر في سبيل وجوب التعامل مع اختلاف الدين، حيث ذهب الإسلام إلى عدم الإجبار على اتباعه امتثالاً لقوله عز وجل: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [٢]، فهو يعطي حرية الاعتقاد لكل البشر فاذا كان هذا هو ديدن الإسلام فمن باب أولي أن نتعامل به نحن المسلمين فلا نسخر على أحد بسبب دينه ولا نظلم أحد بسبب دينه ولا نحتقر أحد بسبب دينه ولا نمنع أحد من حق بسبب دينه لان في كل ذلك تكريس للعنصرية والتمييز العنصري.

والآيات التي تتحدث عن طبيعة علاقة المسلمين مع غير المسلمين كثيرة، كلها تتفق على أنها علاقة مودة ورحمة ومحبة وسلام بل ذهبت إلى أبعد من ذلك حينما أمرت بالإحسان إليهم وجواز برهم حيث قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[٣]، فهذه الآيات حددت الضابط والمعيار الأخلاقي والفقهي الذي يجب أن يُعامل به المسلمون غيرهم، وهو البر والقسط لكل مَن لم يناصبهم العداء ويقف في سبيل الدعوة الإسلامية، ولنا أسوة حسنة عندما قامت دولة المصطفي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة وكذلك الخلفاء الراشدين من بعده، وما كان للعَلاقة بين المسلمين وغيرهم أن تخرج عن الإطار العام، والهدف الأسمى الذي من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، وهو إقامة العدل والمساواة بين الناس بعيداً عن الجهوية والعنصرية والقبلية.

ولقد حفل الفقه الإسلامي بالعديد من التطبيقات العملية التي جعلت التفضيل بين الناس على أساس المزايا الدينية والخلقية، بعيداً عن اعتبار الجنس واللون والشكل واللغة والأوضاع المادية والاجتماعية، من خلال توجيه إلي جميع البشر بالخطاب الموحد للقيام

---

(١) سورة الممتحنة (آية: ٨).

(٢) سورة البقرة (آية:٢٥٦).

(٣) سورة الممتحنة (آية:٨,٩)

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بالتكاليف الدينية، ووقوفهم متساويين في الصلاة أمام الله دون تمييز طبقي أو عرقي أو لوني أو لغوي أو جنسي، وأداؤهم لشعائر الحج مجردين عن كل مظهر من مظاهر التفرقة وهذه سماحة الدين وعدالته، ومن التطبيقات العملية وقوف جميع البشر بعرفة في يوم واحد وعلي صعيد واحد تنفيذاً لتكاليف رب واحد امتثالاً لقوله تعالى:(ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[١]، حيث كان في الجاهلية لكل أناس يومهم ومكانهم يختلف عن أيام ومكان الأخرين وفق عنصر القبيلة.

وهناك من الذين لم يفتح الله عليهم يقولون إن الإسلام مارس التفرقة العنصرية، ويستشهدون بالتفرقة في المعاملة بين البشر وعلى سبيل المثال مضاعفة نصيب الذكر على نصيب الأنثى في الميراث وأداء الشهادة، والجواب على هذا الجنوح والتطرف أن هذه التفرقة في المعاملة ليست على أساس عنصري مما تتعامل على شاكلته المجتمعات اليوم، وإنما هي لاعتبارات قائمة على العدل والتركيبة الخلقية والعضوية والاجتماعية التي تختلف بين الذكر والأنثى.

فبالنسبة للاختلاف في أنصبة الميراث قال العلماء السبب في ذلك أن الرجل هو الذى يتولى الإنفاق عليها من نصيبه، وهو لا يمس نصيبها مطلقاً في هذا الشأن، فهو محفوظ لها تتصرف به في أمورها الخاصة كيف تشاء على أن إثبات حقها في الميراث بوجه عام هو دليل مساواتها له في مطلق الحق، بمعني أنه كان يمكن ألا يفرض لها نصيب بحكم وضعها هذا إذا كان الإسلام يفرق بين البشر.

أما كون شهادتها على النصف من شهادة الرجل فقد بين حكمته من ذلك يقول الله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا)[٢]، فهذا مرجعه الاختلاف في التكوين العقلي الذي يجعل من الذكر إمكانية استعراض الأحداث دون الحاجة إلي التذكير من هذا بخلاف الأنثى ذاكرتها تعمل بصورة متقطعة وهنا تحتاج في لحظة الانقطاع تدخل أنثي أخرى.

وعليه فالحياة البشرية لابد من أن يكون فيها تفاوت مرده قدرة الله وإرادته، وحتى يترتب على هذا التفاوت أثار معينة ومناسبة لها، وهذا هو مقتضى العدل من الحكم العدل حيث قال تعالى: (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)[٣]، وقال (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ)[٤]، فالإجابة

(١) سورة البقرة (آية: ١٩٩).

(٢) سورة البقرة (آية: ٢٨٢).

(٣) سورة القلم (الآيات٣٦،٣٥).

(٤) سورة ص (آية: ٢٨).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

علـى هذين السؤالين في تلك الآيتين الكريمتين منـوط بهما كل من يشكك في عدالة السماء وكل مـتردد في نهـج القران الكريم الذي حـارب الجرائم التي تقع على البشـر بسبب قلتهم ومنها جريمة التمييز العنصري.

وقـال الله سبحانه وتعالى في الرد على هؤلاء: (وَلِكُلٍّ دَرَجَـاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[١]، أي أن الميزة التفضيلية التي أعطيت لهم فهي بسبب أعمالهم الصالحة التي عملوهـا لا بأسباب أخرى مـن الأسباب التي يزعمها المتشككون من المعايير الخاصة بالجنس واللـون واللغة والدين، وقال: (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّـلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)[٢] وعليـه يمكن القـول بأن القرآن الكريم عمل علـى مكافحة هذه الجريمة بكافـة أشكالها سوآء كانت سخرية أم سخرة أم استرقاق أم استعباد أو منع من حق أو ظلم في حق أو عدم مساواة في حق دافعه القلة العددية أو الاختلاف في الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين.

كمـا اعتبرهـا جريمة بغض النظر عن اختلاف الجهة التي ارتكبتها أفراداً أم جماعات أو دول، كما أنها مع اختلاف الجهات المرتكبة في حقها أفراداً أم جماعات أو دول .

(١) سورة الأحقاف (آية: ١٩).

(٢) سورة النساء (آية: ٣٢).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المبحث الثالث

مكافحة جريمة التمييز العنصري في السنه النبوية

النصوص الدالة على مكافحة هذه الجريمة من أحاديث المصطفي صلى الله عليه وسلم متواترة وكثيره، بل وردت تطبيقات عملية تصب في هذا الشأن كل ذلك يدل على إنسانية الحبيب صلى الله عليه وسلم وخلقه القويم ونهجه السليم والذي رباه ربه وربى عليه أصحابه حملة راية الصراط المستقيم.

وتطبيقات المسلمين الذين قاموا بنشر الدين الإسلامي على مدى الدهور كانت شاهدة بمحاربة المسلمين لهذه الجريمة، بل التاريخ الإسلامي مليء بالنماذج الإنسانية في المساواة بين بني البشر في كل شيء دون اعتبار لأشياء أخرى ، مساواة في المعاملات مساواة في الحقوق والواجبات مساواة في التعليم والتعلم لا تفريق بين الأفراد بسبب الانتماء العرقي أو الديني أو بسبب الوضع الاجتماعي أو المادي أو الطائفي، والتاريخ الإسلامي شاهد على أسماء كثيرة تنتمي لأجناس كثيرة ومن بلاد وأديان عديدة ومع ذلك أسندت إليهم وظائف مختلفة في كافة المحاور لم يمنعهم منها اختلاف الدين أو العنصر أو اللون أو المعتقد وهذه سماحة الإسلام.

فالمساواة بين البشر من أهم تعاليم الدين الإسلامي ونهج المصطفي صلى الله عليه وسلم، وعليه فالتمييز العنصري كما يراه علماء المسلمين هو التفريق بين جنس وجنس أو عرق وعرق أو لون ولون بين الناس، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ألا هل بلغت، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أي يوم هذا، قالوا: يوم حرام ثم قال: أي شهر هذا، قالوا: شهر حرام، قال: ثم أي بلد هذا، قالوا بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم، قال: ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليبلغ الشاهد الغائب) [(١)].

وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيري اختلافاً كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل

---

(١) المسند – احمد بن محمد بن حنبل – شرحه احمد محمد شاكر – دار المعارف – مصر – ط٢ – ١٣٦٩هـ- م ١٩٥٠م – في مسند المكيين برقم:١٥٣٢٢، و في مسند الأنصار برقم:٢٢٣٩٩، و برقم:٢٢٣٩١.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[١]، أو هو تفضيل فئة عن فئة أخرى من الناس لكونها من جنس آخر أو لون آخر أو من بلد آخر أو لأنها تتحدث لغة أخرى غير لغة الأغلبية، فعن عمرو بن عوف، قال: قال صلى الله عليه وسلم: (سلمان منَّا أهل البيت [٢]، أو باعتبار الوضع الاجتماعي كتفضيل الغني على الفقير[٣]، كما أن الاحتقار على أساس الانتماء المذهبي هو أيضاً من التمييز العنصري.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنو آدم وآدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن)[٤]، وعلى هذا فكلنا أبناء رجل واحد وأم واحدة رغم اختلاف ألسنتنا وألواننا ومواطننا فعلام التفضيل والتمييز.

ومن تعاليم السنة النبوية ألا ينظر الإنسان لأخيه الإنسان نظرة سخرية واحتقار ونقيصة، وإنما الواجب هو أن ننظر إلى البشر جميعاً نظرة إنسانية وهذا ما جاء به الإسلام حينما قرر المساواة بين جميع البشر في أصل خلقتهم، لأن الأصل واحد فلا فروقات ولا تفاضل بين الأجناس والأعراق إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[٥]، فالخطاب للناس جميعاً فالله رب الناس جميعاً فهم بهذا سواء.

جعل الإسلام هناك تفاوتاً في المعاملة بين البشر لا على الجنس أو اللون أو اللسان، بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله، فالطبيعة البشرية واحدة وإن كان هناك اختلاف فهو لأمور عارضة كتأثير البيئة، وعدم إتاحة الفرصة للبعض أن يكمل نفسه، وحارب الإسلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس

---

(١) السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (المكتب الإسلامي – بيروت). حديث رقم:٢٥٤٩، و في رواية للإمام الترمذي، عن أم حصين قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع وعليه برد قد التفع به من تحت إبطه قالت فأنا أنظر إلى عضلة عضده ترتج سمعته يقول يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله قال أبو عيسى وفي الباب عن أبي هريرة و عرباض بن سارية وهذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أم حصين.

(٢) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني، أنظر حديث رقم:٣٢٧٢ في ضعيف الجامع.

(٣)حقوق الإنسان والتمييز العنصري في الإسلام – عبد العزيز الخياط – ط١ – القاهرة – دار السلام – ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م– ص:٤٥.

(٤) سنن أبي داود – الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني – إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس – ط١ – دار الحديث – بيروت – ١٣٨٨هـ– في باب الأدب برقم:٤٤٥٢ و اللفظ له / سنن الترمذي – الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – نشر دار إحياء التراث العربي – في المناقب برقم:٣٨٩٠ و حسنه الشيخ الألباني.

(٥) سورة الحجرات (آية:١٣).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

كمـا تـدل عليه آيات القران الكريم، وكذلك حديثه صلى الله عليه وسلم حينما قال: (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[١]، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من قاتل على عصبية وليـس منـا من مات على عصبيـة)[٢]، وحديثه صلى الله عليه وسلم حين قـال ▫ الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)[٣].

وقولـه صلـى الله عليـه وسلم: (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكـم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أي يوم هذا، قالوا: يوم حرام ثم قال: أي شـهر هذا، قالوا: شـهر حرام، قال: ثم أي بلد هذا، قالوا بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم، قال: ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شـهركم هذا في بلدكم هذا، أبلغّت؟ قالوا بلَّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ليبلغ الشاهد الغائب)[٤].

وقوله صلى الله عليه وسلم أيضـا: (الناس أبناء علات كأسنان المشط سواء وإنما يتفاضلون بالعافية والمرء كثير بأخيه ولا خير فيمن لا يرى لك عليه من الحق مثل الذي ترى له)[٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم في الرد على الداعين للعصبية والتفرقة العنصرية بأن اعتبرهم من الأشقيـاء والفجـار حيث قال: (لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهـم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب)[٦].

ففي كل هذه الاحاديث إشارة إلي أن أصل البشرية واحد من تراب، وأن الله عز وجل لما خلق آدم عليه السلام خلق له زوج منه، فتفرع من نسلهما كل البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وهم جميعاً عباد لله تعالى وإخوة في الإنسانية، وقد جاء في الأثر أن الرسول صلى الله عليه وسلم من بين ما كان يناجي به ربه في دبر صلاته قوله صلى الله عليه وسلم: (اللهم ربنا ورب كل شيء أنـا شـهيـد أنك أنت الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شـهيد أن محمدا عبدك

---

(١) صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – ١٤٠٠هـ – حديث رقم ٢٦٩٩.

(٢) رواه أبو داود – مرجع سابق– حديث رقم ٥١٢١.

(٣) رواه البخاري ومسلم – مرجع سابق – حديث رقم ٣٣٠٤.

(٤) خرجه الإمام أحمد – مرجع سابق – في مسند المكيين برقم:١٥٣٢٢– و في مسند الأنصار برقم:٢٢٣٩٩– و برقم:٢٢٣٩١، قال الشيخ الألباني حديث صحيح، أنظر صحيح الترغيب و الترهيب، حديث رقم:٢٩٦٣، و أنظر أيضا: غاية المرام، حديث رقم:٣١٣.

(٥) ضعفه الشيخ الألباني، أنظر السلسلة الضعيفة حديث رقم:٥٩٦ ج ٢، ص: ٦٠ / و أيضا حديث رقم:٣١٥٨ من السلسة الضعيفة.

(٦) أخرجه الترمذي – مرجع سابق – في المناقب برقم:٣٨٩٠، وأبو داوود في الأدب برقم:٤٤٥٢، قال الإمام الترمذي هذا حديث حسن غريب.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة...)[١]. تمعن في قوله كلهم أي بغض النظر عن كثرتهم أو قلتهم أو اختلاف ألوانهم أو لغاتهم أو أجناسهم.

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يغضب ويخطب في الناس حينما وصله خبر احتقار رجل أعرابي لبعض من أسلم من غير العرب كسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي رضي الله عن الصحابة أجمعين بحكم أنهم غير عرب فقال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس: إن الرب واحد وإن الأب واحد وإن الأم واحدة، وليست العربية منكم من أب أو أم ولكنها اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي)[٢].

وهذا يعني أن الإسلام صالح لكل البشر والناس كافة دون تحيز لرقعة جغرافية محدده أو عنصر معين أو جنس معين أو طائفة معينة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: (بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود)[٣].

ومنها ظهر دور السنة النبوية في نبذ الجهوية والتفرقة العنصرية أياً كانت مبرراتها، وحث على المساواة في كافة المحاور الدنيوية والدينية، ومن ضمنها المساواة في العبادات فالناس كلهم متساوون في تأدية العبادات المفروضة عليهم دون تمييز بينهم كالصلاة والصوم والزكاة والحج، فكلهم يسجدون واضعين جباههم على الأرض خشوعاً لله وتذللاً لله وخضوعاً لله لا لغير الله، فلا تفاوت ولا تفاضل ولا استثناءات بينهم بسبب أي معيار من المعايير، اللهم إلا بمعيار الأعذار المعتبرة شرعاً حيث رخص الله بها ميزة أداء تختلف عن غيرهم.

ومن أوجه المساواة التي نادت بها السنة النبوية الشريفة المساواة أمام القانون، فلا تمييز أمام القانون لابيض على اسود ولا لعربي على عجمي ولا لشريف على غيره ولا لغني على فقير، فان حدث تفاضل وتمييز بسبب هذه الأشياء فتنتفي المساواة وتبرز التفرقة العنصرية.

وفي المساواة أمام القانون هنا حادثة تثبت التطبيق العملي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا المبدأ حينما طلب منه في وضع استثنائي طلب الشفاعة في حد السرقة للمرأة الشريفة التي سرقت، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (استعارت امرأة على ألسنة أناس يعرفون وهي لا تعرف حلياً فباعته وأخذت ثمنه فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسعى أهلها إلى أسامة بن زيد فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع إلى في حد من حدود الله

---

(١) أخرجه أحمد – مرجع سابق – في أول مسند الكوفيين برقم: ١٨٣٩٠، وأخرجه أبو داوود في الصلاة برقم:١٢٨٩.

(٢) المصنف في الأحاديث والآثار – أبو بكر بن أبي شيبة – ط٢ – الدار السلفية – الهند – ١٣٩٩هـ – (٢/٣٣٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد – مرجع سابق – في مسند بني هاشم برقم:٢٦٠٦.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأثنى على الله عز وجل بما هو أهله ثم قال أما بعد فإنما هلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم قطع تلك المرأة)[١]، وأحداث كثيرة سطرها التاريخ في إقامة العدل بين الرعية دون استثناء لأحد، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (من قتل عبده قتلناه)[٢].

فالمساواة أمام القانون مساواة مطلقة لا يقف أمامها عائق حتى اختلاف الدين، ورغم اختلاف فقهاء الإسلام في قتل المسلم بالذمي فإن الغالب منهم ذهب إلى القول بقتل المسلم بالذمي وأورد في ذلك حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم لما أقاد مسلماً بذمي وقال: (إنا أحق من وفى بذمته)[٣]، وعلى هذا النهج سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالإمام علي رضي الله قال: (إنا أعطيناهم الذي أعطيناهم لتكون دماؤهم كدمائنا ودياتهم كدياتنا) والمقصود هنا أهل الذمة والمعاهدون أي الذين على غير ملة الإسلام.

ومن المساواة التي دعت لها سنة الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم المساواة بين الجميع في المشاركة في الحياة العامة، السياسية والأمنية والعسكرية وتولي المناصب والوظائف العامة بمعيار المقدرة والكفاءة دون نظرة إلى عامل الجنس أو القبيلة أو الوجهة السياسية أو النظرة العرقية بل امتدت هذه المساواة حتى وصلت المساواة في المشورة وإبداء الرأي.

ومن أن أعظم المساواة في تولي الوظائف العامة وبالتحديد في المناصب الدينية نجدها في المسجد النبوي، حيث كانت بين محمد صلى الله عليه وسلم العربي القرشي وبلال الحبشي فالنبي للإمامة وبلال المأموم، ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم عن سلمان (سلمان منا أهل البيت)[٤]، فأعطاه المصطفي شرف النسب والانتساب لبيت النبوة بالرغم من أنه فارسي، لكن هذه الميزة التفضيلية جاءته بسبب عمله ورجاحة عقله، وذلك لما رأى المسلمون

(١) أخرجه الإمام مسلم في الحدود برقم:٦٢٨٩ و ٦٢٩٠ و٦٣٠٢ وفي المغازي برقم:٣٩٦٥ وفي المناقب برقم:٣٤٥٣ وفي أحاديث الأنبياء برقم:٣٢١٦ و في الشهادات برقم:٢٤٥٤ و اللفظ له، و أخرجه الترمذي في الحدود برقم:١٣٥٠ و أخرجه النسائي في الزكاة برقم:٢٤٥٤ و في قطع السارق بالأرقام من:٤٨١١ و إلى رقم:٤٨١٩ وأخرجه أبو داوود في الحدود برقم:٣٨٠٢ وأخرجه ابن ماجه في الحدود برقم:٢٥٣٧ وأخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار برقم:٢٣٠٠٨ و٢٤١٣٤ وأخرجه الدارمي في الحدود برقم:٢٢٠٠، قال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في أول مسند البصريين برقم:١٩٢٤٥ و ١٩٢٦٣ و ١٩٢٦٦ و ١٩٢٧٣ و ١٩٢٧٨ و ١٩٣٤٨ و أخرجه أبو داوود في الديات برقم:٣٩١٤ وأخرجه النسائي في القسامة برقم:٤٦٥٥ و ٤٦٥٦ و ٤٥٥٧ وأخرجه ابن ماجه في الديات برقم:٢٦٥٣ وأخرجه الدارمي في السنن برقم:٢٢٥٢، وأخرجه الترمذي في الديات برقم:١٣٣٤.

(٣) رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبدالرحيم، عن ربيعة، عن حجاج، عن عبد الرحمن بن الْبَيْلَمَانِيّ، فزاد في هذا الإسناد الحجاج وكذلك رواه هشام بن يونس، عن أبي مالك الجنبي، عن حجاج، وقد اتفق هؤلاء علي روايته منقطعا وقد خالفهم إبراهيم بن أبي يحي في ذلك، فرواه عن ربيعه، عن ابن البيلماني، عن ابن عمر مرفوعا – ومن الذين قالو بذلك أبوحنيفه.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩٨)، والطبراني (٦/ ٢٦١).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

قوته رايه في الإشارة إلى حفر الخندق.

ولما ضرب مسلم مشركاً يوم أحد وقال: خذها وأنا الغلام الفارسي، نهاه نبي الحق صلى الله عليه وسلم عن هذا القول وأرشده إلى قول مستمد من وحى الدين فقال له (هلا قلت: وأنا الغلام الأنصاري) [١] رافضاً لتلك العبارة التي فيها إشارة إلى التفرقة والعنصرية التي كانت محل استنكار للرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن التطبيقات العملية للمصطفي في المساواة بين الخلق تولية زيد بن حارثة قيادة الجيش وتولية ابنه أسامة أيضا[٢]، حيث كان زيد رقيقاً ثم أعتقه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه من زينب القرشية التي صارت بعد ذلك من أمهات المؤمنين حيث لم يتم رفضه للزواج بحكم أنه من الرقيق تقدم لتلك القرشية ومن التطبيقات أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: (اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[٣]، وفي هذا الحديث إشارة إلى جواز تولية الأمر إلى المسلم حتى ولو لم يكن حراً.

وتطبيقاً لذلك المنهج قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حياً ما جعلتها شورى، أي لأسندت الخلافة إليه وسالم هذا كان مولى لأبى حذيفة، كما أمر الفاروق بأن يتولى الصلاة بالناس صهيب الرومي، وكان صهيب عبداً أسر في بلاد الروم ثم بيع في بلاد العرب، فلم يكن الرق مانعاً لصهيب من تلك الوظيفة الدينية التي كلفه بها الخليفة الثاني العادل عمر الفاروق.

ومن التطبيقات العملية للتمتع بالحقوق على قدم المساواة دون تفريق زواج بلال بن رباح من أخت عبد الرحمن بن عوف وهى قرشية مع إنه عبد حبشي.

ومن التطبيق العملي أن الحسين بن على اعتق جارية ثم تزوجها، لم يقل أنا ابن فاطمة الزهراء وابن الخليفة الرابع ولم يذكر أفضل شيء وهو أنه حفيد أفضل الخلق والبشر،

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في العصبية، برقم (٥١٢٣)، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب النية في القتال، برقم (٢٧٨٤)، وأحمد في المسند برقم (٢٢٥١٥)، وقال محققوه: إسناده ضعيف، وضعفه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح برقم (٤٩٠٣).

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي (٧ ق.هـ – ٥٤ هـ) هو وأبوه صحابيان، كنيته أبو محمد، ويقال: أبو زيد. وأمه أم أيمن حاضنة محمد بن عبد الله نبي الإسلام صلي الله عليه وسلم ومولاه، وابن مولاه، قال ابن سعد: ولد أسامة في الإسلام ومات النبي صلي الله عليه وسلم وله عشرون سنة. وكان قد سكن المزة، من أعمال دمشق، ثم رجع فسكن وادي القرى ثم نزل إلى المدينة فمات بها بالجرف وصحح بن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين. وقد روى عن أسامة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس ومن كبار التابعين أبو عثمان النهدي وأبو وائل وآخرون وفضائله كثيرة وأحاديثه شهيرة. ذهب إلى الرسول صلي الله عليه وسلم ليشفع لامرأة مخزومية سرقت فاحمر وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال له: "أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة؟.
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D9%85%D8%A9_%D8%A8%D9%86_%D8%B2%D9%8A%D8%AF

(٣) رواه البخاري – مرجع سابق – حديث رقم ٧١٤٢.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

وعندما علم معاوية بذلك عاب عليه هذا الزواج، فرد عليه الحسين بقوله: (قد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة، فلا لوم على أمرئ مسلم إلا في أمر مأثم وإنما اللوم لوم الجاهلية) وهكذا خلق الإسلام.

وقد كان أكثر العلماء الأفذاذ الذين خدموا الإنسانية من غير العرب، اعترف الإسلام لهم بفضلهم ومكانتهم العلمية وأنزلهم المكانة التي تليق بهم ولم ينظر إلى الأصول التي ينحدرون منها .

وروى مسلم أن عمر رضى الله عنه لما تلقاه نائب مكة أثناء الطريق في حج أو عمرة قال له: من استخلفت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبذى، قال ومن ابن أبذى قال رجل من الموالي، فقال عمر: أما إني سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يرفع بهذا العلم آخرين)[١]، وذكر الزهري أن هشام بن عبد الملك قال له: من يسود مكة؟ فقلت: عطاء، قال فأهل اليمن؟ قلت: طاؤوس، قال: فأهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، قال: فأهل خراسان قلت: الضحاك بن مزاحم، قال: فأهل البصرة؟ قلت، الحسن بن أبى الحسن قال: فأهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، وذكر أنه كان يقوله له عند كل واحد: أمن العرب أم من الموالي؟ فيقول: من الموالي، فلما انتهى قال: يا زهري، والله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب من تحتها، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو أمر الله ودينه، فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط، فالعبرة للسيادة هنا بالكسب العلمي ومعرفة المسائل المتعلقة بالدين والدنيا لا بشيء آخر

ومن الأحاديث الواردة في الأخوة الإسلامية الصادقة والجامعة المعترفة بالمساواة بين الجميع في الواجبات والحقوق قول المصطفي صلى الله عليه وسلم حيث قال (المسلمون إخوة تتكافا دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)[٢]

فكان يغضب أشد الغضب من ضرب العبيد أو إيذائهم فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: كنت أضرب غلامًا لي، فسمعتُ مِنْ خَلْفِي صوتًا: (اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ.. للَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ) ! فالتفتُ فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم! فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله تعالى. قَالَ: (أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ أو لمستك النَّارُ)[٣]، حيث كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم خير كفيل بحمايتهم وحماية حقوقهم.

ولقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على منع هذا السلوك العنصري حال حياته، كان آخر كلماته صلى الله عليه وسلم وهو يجود بروحه الشريفة وقد حضره الموت، الوصية

---

(١) رواه مسلم وأحمد في المسند وابن ماجه والدارمي – مراجع سابقه.

(٢) الأموال– أبو عبيد القاسم بن سلام – تحقيق: خليل محمد هراس – الناشر: دار الفكر – بيروت – ص ١٧٩، رقم (٤٩٥).

(٣) صحيح – أبو داود – مرجع سابق. باب حق المملوك – ح: (٤٤٩٢).

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

بالعبيد والإماء.. فعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)[١]، أي إنه يوصي بالعبيد وهو في سكرات الموت، فها هو الخلوق الذي أحتضنهم حيًّا وأوصى بهم بعد مماته خيرًا، فكان خير معلم لهم وخير حام لهم، هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي صحابته ويفقه اتباعه على احترام آدمية الناس، وخاصة الضعفاء منهم والعبيد والخدم والأجراء. ويمتد هذا السلوك والنهج النبوي إلى كافة الحكام مسلمين وغير مسلمين، نهجاً دائماً لا يتغير بالمتغيرات الزمانية والمكانية، يلزمهم بحماية الأقليات والعبيد من التعذيب أو الاضطهاد والتفرقة والمنع من التمتع بالحقوق فضلاً عن السعي الجاد للاعتراف لهم بالإنسانية وحقوقهم المدنية والدينية والسياسية وحمايتهم من العنصرية.

أمرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الضعفاء والفقراء والعبيد والإماء وأن ننظر لهم نظرة تكريم وإخاء، حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألطف الناس بالعبيد، وأرفق الناس بالإماء لضعفهم وقلة عددهم، فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أشد الناس لطفًا ! والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا من أمة ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه ! ! وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده إلا ناوله إياها فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه)[٢] هذا خلق الرسول المتواضع والذي يدعو للتواضع وعدم التمييز. وعن المعرور بن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربدة، وعليه حلة وعلى غلامه حلة (يعني من نفس الثوب) فسألته عن ذلك، فقال: إني سببت رجلاً، فعيرته بأمه (قال لعبد: يا ابن السوداء) فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا ذر! أعيرته بأمه !؟ إنك أمرؤ فيك جاهلية) إخوانكم خولكم (العبيد والإماء هم إخوانكم في الدين والإنسانية)، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده: فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم[٣]، فحرم السخرية من العبيد أو الاستهزاء بألوانهم أو أنسابهم أو لغاتهم، كما حرم إجهاد العبد في الخدمة وأوجب مساعدته إذا كُلّف ما يغلبه.

وعليه ومما سبق أشير إلى أن السنة النبوية الطاهرة المطهرة عملت على مكافحة جريمة التمييز العنصري بكافة أشكالها، وذلك من خلال السنة القولية والتطبيقات العملية التي

(١) صحيح – أبو داود –ح: ٥١٥٦– مسند أحمد – مرجع سابق – ح: ٥٨٥

(٢) فتح الباري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – تصحيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض – في المطالب العالية (٣٩٣١).

(٣) صحيح – البخاري – مرجع سابق – كتاب الإيمان، برقم ٣٠– مسلم، كتاب الإيمان والنذور، باب: إطعام المملوك مما يأكل، رقم: ١٦٦١.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

طبقها الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم والتي تتمثل في كافة أنواع المساواة دون التمييز بين البشر مهما كان عددهم وقلتهم ولونهم وجنسهم وقبائلهم، وعلى هذا الطريق سار صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسكاً بقوله وتنفيذاً لأمر دعوته، فلا مبرر لظهور هذا السلوك في الحياة مرةً أخري لا على المستوي الفردي ولا الجماعي ولا الدولي.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة أشير إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يمكن أن تساهم في التعرف على نهج الدين الإسلامي وهو يكافح ويمانع أي سلوكيات تتعارض مع الإنسانية والتوجهات الربانية من خلال القران الكريم والسنة النبوية المطهرة ومن ضمن هذه التمييز العنصري أو التفرقة العنصرية.

أولاً / النتائج:-

١. إن الإسلام دين كامل ومتكامل عني بتنظيم حياة الفرد الدينية والدنيوية وحث على التعامل بمبدأ المساواة بين البشر بلا تفاضل ولا تمييز إلا بالتقوى والعمل الصالح.
٢. اختلاف اللون أو الجنس أو الدين لا يترتب عليه نقص أو حرمان من حق أو زياده، لان أصل البشرية واحد وخالقهم واحد وربهم واحد ومصيرهم واحد.
٣. سماحة الإسلام تامر بالمعاملة الحسنى دون اضطهاد لفئة أو طائفة حتى المخالفين لنا في العقيدة، والتزام نهج العدل والإحسان حتى مع الأعداء.
٤. جريمة التمييز العنصري تعتبر من النشاطات الهدامة التي تنخر في النسيج الإسلامي والاجتماعي على المستوي الداخلي والدولي.
٥. يظهر التمييز العنصري بصور عده أحياناً سخرية وأحياناً اضطهاداً وأحياناً تفضيلاً وأحياناً منعاً من حق وأحياناً حرماناً من واجب ومهما اختلفت صورها فهو سلوك مرفوض ومخالف لطبيعة البشر والدين.
٦. قد ترتكب هذه الجريمة في حق فرد أو جماعة أو دولة بأكملها ومع ذلك مهما اختلفت الجهات الواقعة عليها فإنها تمثل نموذجاً سيئاً لمخالفة الشرع الإسلامي وما تدعو إليه الإنسانية.
٧. قد ترتكب هذه الجريمة من قبل أفراد أو جماعة أو دول ولكنها مهما اختلفت الجهات فإنها تمثل جميعاً نوعاً إيذاء للبشرية.
٨. الإسلام حارب وكافح هذه الجريمة بكافة وسائله كما أنه أعطى نماذج وتطبيقات عملية لما يجب أن تكون عليه الحياة في التساوي في كل شيء حتى مع التباين في الدين واللون والجنس واللغة والأوضاع المالية والاجتماعية ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنه.

ثانياً / التوصيات:-

١. ضرورة الطرق على النهج الإسلامي في معالجته للقضايا الإنسانية حتى نعطي البعد العالمي لرسالة الإسلام في النظرة الكلية للبشر، وتصوره لمستجدات الأمم والشعوب على

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

مدى العصور ومنها النظر إلى الأقليات.

٢. عكس تعاليم الإسلام ونشرها عبر كافة الوسائل والمنابر والطرق التعليمية والبحثية والمواقع الدولية والداخلية والتي تنادي بالمساواة والعدالة بين الناس ونبذ الجهوية والعنصرية.

٣. السعي بكافة الوسائل والسبل في سبيل منع ارتكاب جريمة التمييز العنصري بكافة أشكالها وأنوعها بغض النظر عن الأشخاص الواقعة عليهم وبغض النظر عن مرتكبها.

٤. العمل على إزالة كل العوامل التي تؤدي إلى ظهور الأقليات واتباع سياسة تجعل من دمجهم وانصهارهم في المجتمع أمراً ميسوراً.

٥. التزام مبدأ المساواة والعدالة في الحقوق والواجبات ومتطلبات الحياة المدنية والسياسية والقانونية.

٦. نبذ معايير النظرة للبشر بالجنس واللون واللغة والطائفة والوجهة الحزبية والعرقية والمكانية والأوضاع الاقتصادية والمالية.

٧. النظر للمجتمع الدولي بالتساوي دون تفضيل دولة على دولة أو شعب على شعب وإلغاء مسميات الدول (الكبرى والعظمي والمتقدمة والغنية) والدول (الفقيرة والنامية والعالم الثالث).

٨. تبني نظام قانوني يستهدف به هيئة الجماعة الدولية، بحيث يجعل من امر الدول في اتخاذ القرارات الدولية الحق بينهم بالتساوي وفي ذلك إلغاء لحق الفيتو الذي أصبح سيفاً معلقاً على رقاب الدول.

٩. التبشير بما تفضي إليه مكافحة جريمة التمييز العنصري على الصعيد النفسي والروحي والاجتماعي والثقافي والتي هي أرقى صور التعايش بين الأفراد والمواطنين داخل الدولة الواحدة حتى ولو اختلفت عقائدهم ولغاتهم وثقافاتهم وعروقهم وهذا ما تبحث عنه عدالة السماء.

١٠. اعتماد إصلاحات داخلية ودوليه تؤدي إلى منع جريمة التمييز العنصري التي تؤدي إلى تفجر الأوضاع، وحدوث الصراعات والتي قد تفضي إلى الانفصال في كثير من الأحيان من الدول التي تحدث فيها تلك التفرقة أو ذاك التميز العنصري.

١١. على الحاملين مشعل حوار الحضارات وشعار التسامح والتعايش السلمي والديني على المستوي الداخلي والدولي، أن يبذلوا جهوداً إضافية لإقناع الأتباع بضرورة احترام كل ما هو مقدس لدى الطرف الآخر بغض النظر عن الاختلاف في الدين أو اللغة أو العدد أو الجنس.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

المصادر والمراجع

أولاً/ القرآن الكريم.

ثانياً / كتب التفسير:-

غريب المصنف – أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي – (المتوفى: ٢٢٤هـ)– تحقيق: صفوان عدنان داوودي – الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – الطبعة: جـ ١– السنة السادسة والعشرون، العددان (١٠١، ١٠٢)– ١٤١٤ه / ١٤١٥هـ.

ثالثاً/ كتب الحديث:_

١. صحيح البخاري– المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة – عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى– ١٤٢٢هـ.
٢. المسند – احمد بن محمد بن حنبل – شرحه احمد محمد شاكر – دار المعارف – مصر – ط٢ – ١٣٦٩هـ– م ١٩٥٠م.
٣. السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (المكتب الإسلامي – بيروت
٤. سنن أبي داود – الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني – إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس – ط١ – دار الحديث – بيروت – ١٣٨٨هـ.
٥. سنن الترمذي – الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي – تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر – نشر دار إحياء التراث العربي.
٦. صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – ١٤٠٠هـ.
٧. المصنف في الأحاديث والآثار – أبو بكر بن أبي شيبة – ط٢ – الدار السلفية – الهند – ١٣٩٩هـ.
٨. فتح الباري – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – تصيح وتعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز – نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض.

رابعاً/ كتب اللغة العربية:-

لسان العرب – المؤلف: محمد بن مكرم بن على (أبو الفضل) جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي – (المتوفى: ٧١١هـ) – الناشر: دار صادر – بيروت– الطبعة ا– سنة الثالثة – ١٤١٤هـ.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

خامساً/ كتب الفقه الإسلامي:-

الأموال– أبو عبيد القاسم بن سلام – تحقيق: خليل محمد هراس – الناشر: دار الفكر – بيروت

سادساً/ كتب القانون:-

١. الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر – أحمد وهبان – دار الجامعة الجديدة – الإسكندرية –٢٠٠١م.

٢. موسوعة السياسة – عبدالوهاب الكيالي – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١– ١٩٨٧م.

٣. Nicolas schmitt,protection des minorités,federalisme et democratie de concordance:tout etat lié,institut du federalime-universite de fribourg (suisse),conference sur le burundi,geneve,17-19 avril

٤. إدارة وحل الصراعات العرقية في أفريقيا – محمود أبو العينين – الدار الجامعية للنشر والتوزيع والطباعة – ط١ – ليبيا – ٢٠٠٨م.

٥. حقوق الإنسان والتمييز العنصري في الإسلام – عبد العزيز الخياط – ط١ – القاهرة – دار السلام – ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

سابعاً/ المواثيق:-

١. إعلان الأمم المتحدة للأقليات للعام ١٩٩٢م.

٢. الاتفاقية الأوربية لحقوف الأقليات – ١٩٩١م.

٣. وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام الصادرة عن وقائع المؤتمر الخامس للفكر الإسلامي المنعقد بطهران (إيران) من:٢٩ جمادى الأولى إلى٠١ من جمادى الثانية١٤٠٧هـ الموافق لـ: من٢٩ إلى٣١ جانفي١٩٨٧م.

ثامناً/ البحوث و المنشورات:-

١. مستقبل الدول الفدرالية في أفريقيا في ظل صراع الأقليات (نيجيريا نموذجا) – بشير شايب مجدوب – رسالة ماجستير – جامعة قاصدي مرباح – كلية الحقوق والعلوم السياسية – ٢٠١٠م / ٢٠١١م.

٢. الملف السياسي – مؤسسة البيان للصحافة والطباعة والنشر – عدد الجمعة ١٠ ذو القعدة ١٤٢٤هـ – ٢ يناير ٢٠٠٤م– العدد ٦٥٩.

٣. موسوعة فتاوى الأزهر –الموضوع (٢٩٠) التفرقة العنصرية– المفتي: فضيلة الشيخ عطية صقر– مايو ١٩٩٧ المبدأ: القرآن والسنة.

٤. حقوق الإنسان في الإسلام – مقالات المؤتمر الخامس للفكر الإسلامي – طهران – إيران.

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com

PDF created with pdfFactory trial version pdffactory.com